المزموران ٤٢ و ٤٣ : حنين الى الله

الاب جاك اسحق

المقدمة

كانت المزامير وستبقى من أجمل ما نظّم البشر للتعبير عن مشاعرهم تجاه باريهم ، تلوها ولا زالوا ليشيدوا به وليشكروه على أفضاله ، وليستمطروا عطاياه ، وليستغفروه عن ذنوبهم.

أنشد الانبياءُ والاولياء هذه المزاميرَ في العهد القديم ، ورتلها يسوع المسيح نفسهُ ورسُلهُ الاطهار خلال المراسيم الطقسية المقامة في الهيكل وفي المجامع والبيوت ، كما انها غذّت صلاتهم الخاصة.

إرتفعت المزامير عبر القرون المسيحية كلها من افئدة المؤمنين ومن حناجرهم في الكنائس والاديرة المنتشرة في بقاع الدنيا كلها ، فانشدوها بالحان شجية وبلغاتهم المختلفة.

لا يمكن أن نقارن أهمية المزامير باهمية الصلوات والتراتيل التي وضعها البشر في ازمنة مختلفة ، وأهملت احياناً ، لانها كانت مرتبطة بظروف خاصة ، عبّرت عن مشاعر اناس عاشوا في أزمنة معينة وعكست حاجاتهم المحدودة. بينما المزامير هي الصلاة الوحيدة التي تتسم بالخلود ، لانها ملهمة من قبل الرب ، كسائر أسفار الكتاب المقدس، انها كلمة الله التي هي الامس ، واليوم ، وغداً ، والى الابد؛ ولانها تعبّر عن جوهر كل انسان آت الى العالم ، وعن حاجاته الاساسية من اي جنسَ كان ، وفي اي حقبةٍ زمنيَّة عاش ، وعلى ارض اي بلد وُلد.

غالباً ما نتلو المزامير اثناء مراسيمنا الطقسية بتسرع وسطحية يفرغانها من غناها الروحي ويزيلان عذوبتها ، فلا تُحرّك مشاعرنا الدينية اثناء الصلاة ، إذ تخرج آياتها المقدسة من شفاهنا ، وعقولنا تسرح في عالم آخر.

نحاول معالجة آفة «الشكلية» في تلاوة المزامير لنساعد المؤمنين في تذوُّق عذوبتها واكتشاف معانيها السامية . وتشجيعاً للمسؤولين عن الجوقات ليُدرجوا المزامير في تراتيلنا الكنسية المعاصرة ، نقدم على صفحات «نجم المشرق» تفاسير كتابية وروحية للمزامير الاكثر انتشاراً ؛ ونبدأ بالمزمورين ٤٢ (٤١) و ٤٣ (٤٢) في هذا المقال :

١ – ترجمة النص

المزمور ٤٢ (٤١)

ﻟﻤﻐﺪﻟﺔ . ﻣﺖ : ﻟﺒﻨﻲ ﻗﻮﺭﺡ ﻣﺴﻜﻴﻞ ﻟﺪﻭﺩ ﻛﻤﺎ ﺗﺘﺎﻕ ﺍﻳﻞ

١ – لأمام المرتلين . تعليمٌ لبني قورح

٢ – كما يَشتاقُ الأيِّـلُ (١) الى مجاري المياه ،
كذلك تشتاقُ نفسي اليكَ يا الله.

٣ – ظَمِئتْ نفسي الى الله ، الى الاله الحَي ،
متى آتي وأحْضُرُ أمامَ الله .

٤ – قَدْ كان لي دَمْعي خُبزاً ، نهاراً وليلاً ،
إذ قيلَ لي ، كُلَّ يومٍ : «أينَ الهُكَ؟»

١ – الأيل ج أيائل : حيوان من ذوات الظلف ، للذكور منه قرون متشعبة ، لا تجويف فيها ، اما الاناث فلا قرون لها . (المنجد ١٩٨٦ ص ٢٢) . يلتهم كميات كبيرة من الاعشاب مما يجعله في عطش شديد ، فيهرع الى مصادر المياه لارواء غليله . ذكرت بعض أسفار العهد القديم هذا الحيوان مشيرة الى شدة معاناته اثناء الجفاف (المراثي ١/٧٦).

٥ - أذكُرُ هذا ، فَأُفيضُ نفسي عليَّ،
أني أعبُرُ مع الجمهورِ ، وأقصدُ بهم بيتَ اللهِ ،
بصوتِ ترنيمٍ ، واعترافٍ ، بهتافِ تَعييد.
٦ - لماذا تَكتئبين يا نفسي ، وَتقلقينَ فيَّ.
ارْتَجي اللهَ ، فإني سأعودُ أعترفُ له ،
وهو خلاصُ وَجْهي والهي.
٧ - تَكْتئبُ نفسي فيَّ ، فلذلك أذكُرُكَ :
منْ أرضِ الأردنّ ، وجبالُ حرمون(٢) ، منْ جَبَلِ مِصْعَرَ (٣)
٨ - غَمْرٌ ينادي غمراً ، على صوتِ شلاّلاتكَ ،
جميعُ تيّاراتك وأمواجكَ قد جازَت عَلَيَّ .
٩ - في النهارِ يأمُرُ الربُ برحمتِه ،
وفي الليلِ نشيده عندي صلاةً ، لإلهِ حياتي.
١٠ - اقولُ لله صخرتي : «لماذا نسيتني ،
ولماذا أسيرُ بالحداد منْ مضايقة العَدوّ ؟»
١١ - عندَ تَرَضُّضِ عظامي عَيَّرني مُضايقيَّ ،
بقولهم لي ، النهار كُلُهُ : «أينَ إلهكَ؟»
١٢ - لماذا تكتئبين يا نفسي ، وتقلقينَ فيَّ؟
آرتجي اللهَ ، فاني سأعودُ أعترفُ له ،
وهو خلاصُ وجهي والهي .

٢ - حرمون : اسم يطلق على القسم الجنوبي من سلسلة جبال لبنان الشرقية ، على الحدود اللبنانية السورية ، يشرف على وادي القرن وفلسطين وحوران ، تتقاسمه لبنان وسورية ، ويسمى كذلك جبل الشيخ (المنجد ص ٣٣٩).

٣ - مصعر في النص العبري «الجبل المتواضع» او «جبل مصعار» ، وقد يكون «زواراً» وهو غير بعيد عن منابع الاردن . (الكتاب المقدس ـ المزامير - دار المشرق ١٩٨٦ ، ص ٧٨ ، هامش ٥).

المزمور ٤٣ (٤٢)

[illegible]

١ - أَللّٰهُمَّ أحكُمْ لي ،
ودافِع عَن قضيتي مع قومٍ لا يرحمون .
وَمِنْ صاحبِ الكَيْدِ والأثمِ نَجِّني
٢ - فإنَّكَ أنتَ إلهُ حِصني ، فلماذا نَبَذْتني ؟
ولماذا أسيرُ بالحداد مِنْ مُضايقةِ الاعداءِ ؟
٣ - أرسِلْ نورك وحَقَّكَ ، فهما يهدياني ،
الى جبل قُدسِكَ والى مساكِنِكَ يوصلاني.
٤ - فأدخُل الى مذبح الله ،
الى اللهِ ، فَرَحِ شبابي
وبالكنارة أحمَدُكَ ، يا الله الهي .
٥ - لماذا تكتئبين يا نفسي ، وتقلقينَ فيَّ ؟
ارتجي اللهَ ، فاني سأعودُ أعتَرفُ له ،
وهو خلاصُ وجهي والهي .

٢ – التحليـــل

أ – اشتياقُ لاويٍّ الى الله

١ – تنسب الآية الاولى من المزمور ٤٢ تأليف هذين المزمورين الى «أبناء قورح» وهـــــم لاويون (٤) « ... كانوا متفرغين للخدمة ، وحُراساً لاعتاب الخيمة» (١ آخبار ٩/١٩) ، واشتهروا أيضاً في خدمة هيكل اورشليم ومساعدة الكهنة في أداء الطقوس الدينية ، وكانت مهمتهم اداء الالحان المقدسة ايضاً (٢ أخبار ٢٠/١٩).

٢ – نجد في كتاب «المزامير» تسعة مزامير أُخرى تحمل اسمَ «ابناء قورح» ، انها المزامير التالية : ٤٤ (٤٣) ، ٤٥ (٤٤) ، ٤٦ (٤٥) ، ٤٧ (٤٦) ، ٤٨ (٤٧) ، ٨٤ (٨٣) ، ٨٥ (٨٤) ، ٨٧ (٨٦) و ٨٨ (٨٧) . تمتاز هذه المزامير اكثر من غيرها بعمق وغزارة الافكار التي تشيد بدور هيكل اورشليم وباهمية الطقوس الدينية في حياة الشعب اليهودي.

٣ – ان المزمورين ٤٢ و ٤٣ هما في الاصل مزمور واحد ، قُسم خطأً الى مزمورين مختلفين . يمكننا ان نلاحظ وحدة المزمورين بسهولة : فالردة «لماذا تكتئبين يا نفسي ...» هي ذاتها في المزمورين ، تتكرر فيهما ثلاث مرات ، وتقسمهما ثلاثة أقسام ، ينتهي كل قسم بالردة ذاتها (الآيات ٦ و ١٢ من المزمور ٤٢ والآية ٥ من المزمور ٤٣)، ولا نجد عنواناً خاصاً بالمزمور الثاني ، بل في بداية المزمور الاول فقط ، كما ان الافكار الواردة في المزمورين هي ذاتها ، وتدور حول محور واحد ، الا وهو الشوق لمقابلة الله في هيكله.

---

(٤) لاويون : نسل لاوي بن يعقوب : كُلفوا بالاهتمام بالمقدس ، وكانوا يساعدون الكهنة في المراسيم الطقسية ، وكان منهم القضاة والكتبة والبوابون ، والموسيقيون (قاموس وجغرافية الكتاب المقدس ص ٨٠٦ – ٨٠٩).

٤ً - يمكننا أن نعتبر هذين المزمورين سيرة ذاتية لأحد اللاويين ، الذي أُبعد عن بيت الله في اورشليم ، ونُفي الى أقصى شمال الجليل ، حيث منابع نهر الاردن ، وبالقرب من جبل حرمون وجبل مصعر (الآية ٧ من المزمور ٤٢) ، انها مناطق يسكنها الوثنيون المعادون لليهود.

٥ً - إني لأتخيَّل هذا اللاوي جالساً على ضفة أحد جداول نهر الاردن الشمالي ، يرتل هذين المزمورين ليعبِّر عن حزن شديد ألَمَّ به بسبب منفاه القاسي ، يستذكر الساعات العذبة التي قضاها في خدمة الله في هيكل اورشليم ، وفي اداء المراسيم الطقسية الرائعة التي كان يشترك فيها وتغمر نفسه بالسعادة وتخطفه الى الاجواء السماوية ، ويتذكر دوره في قيادة الحجاج القادمين من كل صوب مشياً على الاقدام ، ومتوجهين الى بيت الله (الآية ٥ من المزمور ٤٢) . انه أشبه بالايل الظمىء القادم الى نهر أو جدولٍ ليروي عطشه المذيب ، فيجد النهر فارغاً قد جفّت مياهه ، فيرسل الى السماء صراخاً يندب فيه حظّه ، ويعبِّر عن اشتياقه الشديد الى الماء . هكذا يريد اللاوي أن يعبِّر عن حنينه الى لقاء الله الحي في هيكل اورشليم ، لانه يؤمن بان الله يتجلّى باسمى سناه في الهيكل (الايات ١-٣ من المزمور ٤٢) .

٦ً - مما يزيد آلام اللاوي المنفي قسوةً ، هو موقف الوثنيين المعادين المحيطين به ، فانهم يستهزئون به طوال النهار ، قائلين له : «اين الهك» ... فانه قد تركك وخذلك ، فليأتِ ليخلصك من هذه المحنة .

٧ً - إلاّ أن اللاوي المؤمن بالله لا يستسلم الى القنوط ، بل يقاوم ببسالة اليأسَ الذي هجم عليه بكل شراسة ، ويحاول ان يرفع معنوياته ويشجع نفسه ، فيردد ثلاث مراتٍ «لماذا

تكتئبين يا نفسي .. إرتجي الله ... فاني ساعودُ اعترفُ له ، وهو خلاص وجهي والهي» . إنه على ثقة تامة وراسخة بان الله لن يسكت على مأساته الى ما لا نهاية ، بل سيضع حدًّا لمنفاه ، ويحرره ويخلصه ، لكي يتمكن من العودة الى حياته السابقة ، ليخدم الله في هيكل اورشليم ، ويشارك في الطقوس والالحان العذبة ، هكذا يمجد الله .

ب - المزموران على لسان يسوع

١ - اننا نكتشف ابعاداً روحية جديدة لهذين المزمورين حينما نضعهما على لسان يسوع المسيح ، إذ انه قد تلاهما دون شك خلال اشتراكه في مراسيم الحج الى اورشليم والطواف الى بيت أبيه ، واستلهم منهما اقواله اثناء المواقف الحاسمة من حياته الارضية .

٢ - يرى العلماء أن يسوع ألمحَ الى الآية السادسة من المزمور ٤٢ ومطلعها : «لماذا تكتئبين يا نفسي ...» ، وذلك حينما كان في بستان الزيتون يصلي ويجابه آلامه قائلاً : «إن نفسي حزينةٌ حتى الموت» (متى ٣٨/٢٦) ؛ كما انه أشار الى الآية السابعة من المزمور ذاته ومطلعها «تكتئبُ نفسي فيَّ...» من خلال قوله : «الآنَ نفسي مضطربة ... » (يوحنا ٢٧/١٢) .

٣ - طبقَ شراح الكتاب المقدس وآباء الكنيسة الاية الحادية عشرة من المزمور ٤٢ : « ... عَيَّرني مُضايقيَّ بقولهم لي ، النهارَ كلَّهُ : أينَ الهك» على يسوع حينما اضطهده اليهود واستهزأوا به وهو على الصليب قائلين : « ... إتَّكَلَ على الله ، فلينقذه الآن ، إن كانَ راضياً ، فقد قال : أنا ابن الله» (متى ٤٣/٢٧).

٤ً - عاش يسوعُ مشاعرَ اللاوي المنفي المتعددة ، منها : «الشوق الشديد الى بيت الآب» ، «الحنين الى حضور الله» ، «الالم بسبب منفاه الارضي» ، «الحزن بسبب معاداة اليهود وعدم تفهمهم لرسالته» ، وعبّر عنها علانية أمامَ رسله قائلاً : «ايها الجيل غير المؤمن ، الى متى ابقى عندكم ؟ وحتى متى أحتملكم؟» (متى ١٧/١٧) . كما انه عبّر مراراً عن شوقه الى العودة الى الآب ، فلقد قال لرسله : « ... لو كنتم تحبوني ، لفرحتم باني ذاهب الى الآب ...» (يوحنا ٢٨/١٤) ، « ... خرجتُ من لَدُنِ الآب ، وأتيتُ الى العالم . فأمّا الآن ، فاني أتركُ العالم وأمضي الى الآب» (يوحنا ٢٨/١٦) .

٥ً - عَبّر يسوع عن عطشه الشديد الى اخوته البشر ايضاً ، وذلك ليحقق الخلاص لهم جميعاً ، فصرخ باعلى صوته على الصليب «انا عطشان» (يوحنا ٢٨/١٩).

٦ً - شبّه يسوع نفسه بالنبع الصافي الذي تفجرّ من عند الآب وأتى الى الارض لكي يُروي عطش البشر الى الله والى المُثل السامية . فلقد وقف يوماً في باحة هيكل اورشليم وأعلن قائلاً : «... إن عطش أحَدٌ ، فليُقبِل اليّ ، ومَنْ آمن بي فليشرب ، كما ورد في الكتاب : ستجري من جوفه أنهارٌ من الماء الحي» (يوحنا ٣٧/٧-٣٨). كما صرّح للمرأة السامرية يوماً : « لو كنتِ تعرفين عطاءَ الله ، وَمَنْ هو الذي يقول لك : أسقيني، لسألته أنت فأعطاكِ ماءً حيّاً ... كُلُّ مَنْ يشربُ من هذا الماء يعطش ثانيةً ، وأما الذي يشرب من الماء الذي أعطيه أنا اياه ، فلن يعطش أبداً ، بل الماء الذي أعطيه اياه ، يصيرُ فيه عين ماءٍ يتفجر حياة أبدية» (يوحنا ١٠/٤-١٤).

جـ - انه مزمور المسيحي المعاصر

١ - كان الموعوظون(٥) ، خلال القرون المسيحية الاولى ، يرتلون هذا المزمور خلال الرتب الطقسية التي تُقام أثناء فترة إعدادهم للعماد ، لأن هذا المزمور يعبّر تعبيراً رائعاً عن شوقهم الشديد الى مجاري مياه المعمودية ، التي ستطهرهم من آثامهم الماضية ، وتمنحهم حياة روحية جديدة ، ليصبحوا اولاداً لله وللكنيسة . كما ان آيات هذا المزمور تعبر عن ظمأ الموعوظين الشديد الى ذلك النبع الحي ، الذي هو المسيح ، إذ بامكان المسيح وحده أن يروي عطشهم الى الله والى الحقيقة والمُثُل السامية .

ما يزال معلمو التربية المسيحية ، الذين يهتمون باعداد المهتدين الى الدين المسيحي من البالغين ، يلمسون اشتياق الموعوظين المعاصرين الشديد الى مياه المعمودية ، ويعبرون عن شوقهم هذا بكلمات مؤثرة لا بل بالدموع .

٢ - رسم الفنانون المسيحيون خلال القرون الاولى لوحات جدارية في الكنائس وفي المعابد ، مَثّلوا فيها المسيحي بايّل ظمآن واقف أمام جدولٍ يروي منه عطشه الشديد . وذلك ليعبروا عن شوقه الى لقاء المسيح في هذه الحياة الدنيا اثناء صلاته الخاصة او في القداس وسائر الصلوات الطقسية التي تقام في الكنائس ، لكي ينهل من المسيح ، وهو ماء الحياة الأبدية .

٣ - يعبّر هذا المزمور عن شوق المسيحي الى لقاء الاب السماوي في الحياة الخالدة أيضاً ، لأن هذا اللقاء سيوليه السعادة الابدية ويضع حداً لمنفاه الارضي، كما يقول القديس بولس:

(٥) الموعوظون : عبارة تطلق على المؤمنين الذين اهتدوا الى الدين المسيحي ، ولكنهم لا زالوا في مرحلة الاستعداد للعماد ، تشير عبارة «الموعوظين» الى دروس التربية المسيحية التي تلقى على مسامعهم ، ويسمون احياناً بـ «المستنيرين» دلالة الى «طريق ابناء النور» الذي بدأوا يسلكونه ، وهو طريق القداسة..

«ما دُمنا في هذا الجسد ، فإننا نعيشُ في المنفى ، بعيداً عن الرب ، لأننا نسير في الايمان لا في العيان ... فنحن اذن واثقون ، ونرى من الافضل أن نهجر هذا الجسد القديم ، لنقيم في جوار الرب» (٢ قور ٥/٦-٨).

٤ً - تعكس الآيـــة الرابعـــة من المزمور ٤٢ التي يُعبِّر فيها الوثنيون اللاوي المنفي قائلين : «أين الهك؟» حالة المسيحي المؤمن في هذا العالم . فكثيراً ما يجد نفسه ايضاً محاطاً باناس غير مؤمنين وعدائيين ، او بمسيحيين فاترين لا مبالين لا يفهمـــون حماسهُ للصلاة ولاعمال البر والقداســـة او حماســه للعمل الرســـولي . ويرى احيانا اخرى نفسه بين اناس مؤمنين ولكن اعمالهم اليومية بعيدة كل البعد عن الله ، فهم ينكرون الله بتصرفاتهم ، ويســـتهزئون بالمســـيحي الملتزم . كما ان المسيحي الجـــاد يجد نفسه احيـــاناً كثيرة محـــاطاً بصعـــوبات جمّة واخطـــار روحيـــة تعيقـــه عن العيش وفق مبادىء الانجيل ، هكذا يشعر وكأنه في منفى حقيقي.

٥ً - إن الناس العدائيين والصعوبات المحيطة بحياة المســـيحي المؤمن لن تخلق له الاحباط واليأس ، بل ترفع من مســـتوى امله بالـــرب وتزيد ثقتـــه بالله رســـوخاً ، لانه يعرف ان الله لن يحمله من المتاعب فوق طاقته ، بل يضـــع حداً لمعاناته ولغدر الاصـــدقاء ، وســـينتقم لمختاريه الـــذين يصـــرخون اليه نهاراً وليلاً ، وسيكلل ايمانهم بالنصر ورجاءَهم بالفرج ومحبتهم بالفرح والسعادة .

٣ـ المزمور المُرتل

وُضعت معظم المزامير لكي تُرتل اثناء المراسيم الطقسية ، فلقد أشار خمس وخمسون مزموراً الى واضع الحانها بعبارة «لأمام المرتلين ، أو ، لأمام الغناء» . كما ذكرت المزامير

اسماء الالات الموسيقية التي كانت ترافق الترتيل : البوق ، العود ، الصُنج ، الكنارة (المزمور ٤٣ ، الاية ٤) وغيرها . وذلك لان الصلاة المرتلة تصبح صلاة مضاعفة ترفع النفس الى الله بسهولة .

ندرج ادناه لحناً للمزمور ٤٢ «كما يشتاق الايل» وضعه الاب بولس الاشقر الانطوني اللبناني ، تشجيعاً لعزف هذا المزمور وترتيله في كنائسنا .
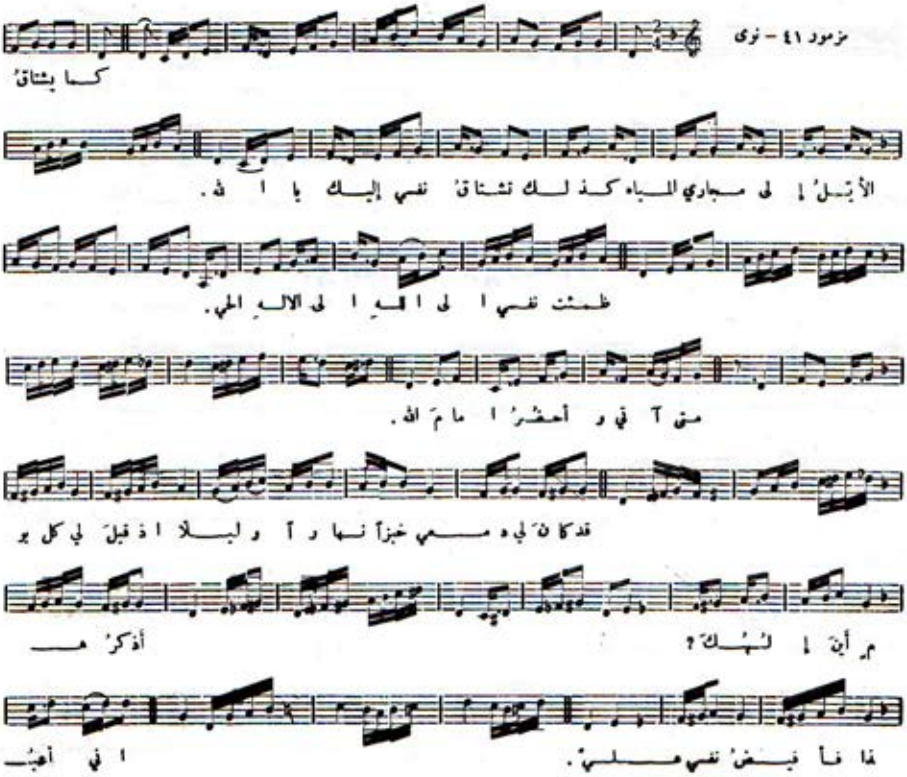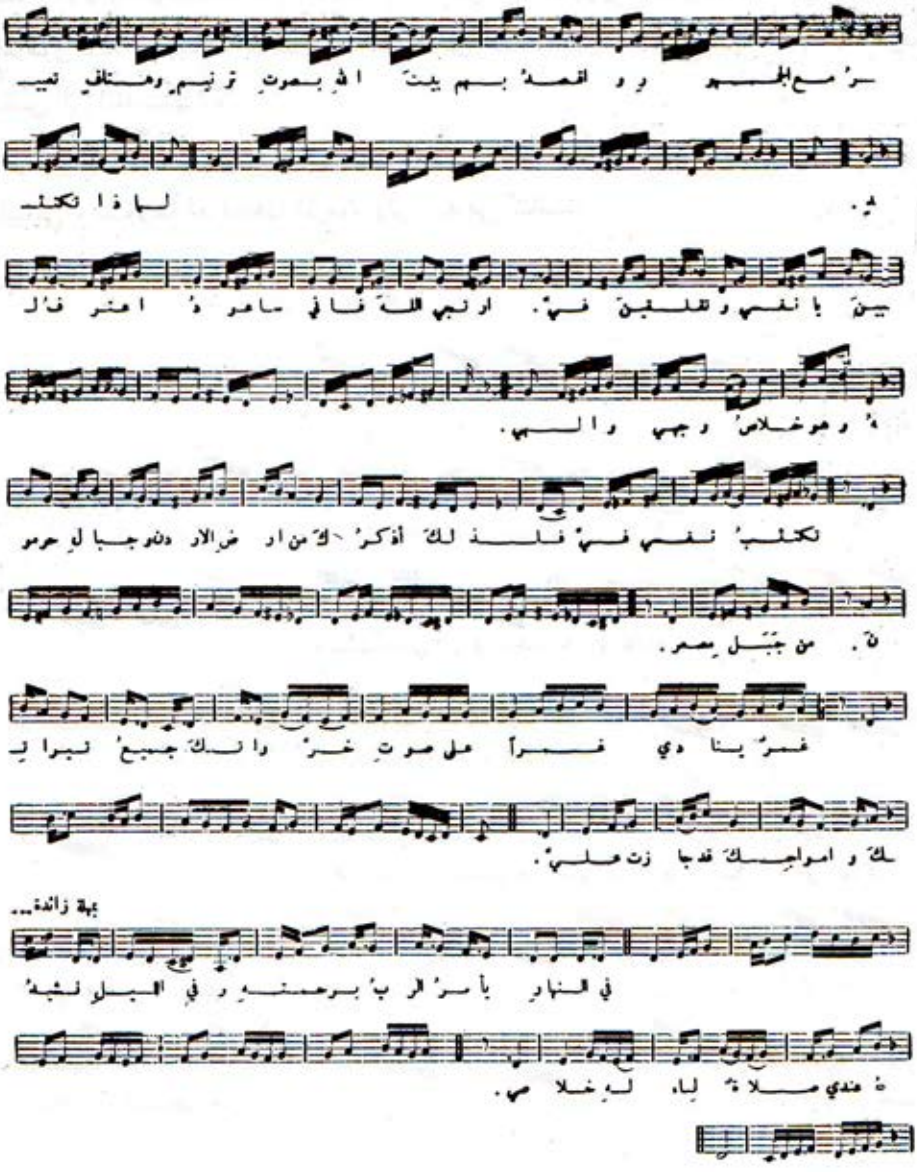
سر مع الجمهور و اقدمه بهم بيت الله بصوت ترنيم وهتاف تعيد
لماذا تكتئب
عين يا نفسي وتقلقين فيه. ارتجي الله فاني سأحمده اخر فال
ه وهو خلاص وجهي والهي.
تكتئب نفسي فيه فلذلك أذكرك من ارض الاردن وجبال حرمون
ن. من جبل مصعر.
غمر يناديني غمراً على صوت غمرك وانك جميع تياراتك و امواجك قد جازت عليّ.
بهة زائدة...
في النهار يأمر الرب برحمته وفي الليل تشبه
ه عندي صلاة لإله حياتي.